



خلف علي الخلف

التنزيل

شعر

التنزيل

المؤلف: خلف علي الخلف
عنوان الكتاب: التنزيل - شعر
الطبعة الأولى 2007
جميع الحقوق محفوظة
الناشر: جسور - الكندي

دار جسور للترجمة والدراسات والنشر
سوريا - دمشق ص ب: 35164
www.joussour.net

دار الكندي
للنشر والترجمة والطباعة
EDITIONS4, Cite joly 75011 paris
Tel/fax:0145880363
www.alkindi.fr

تصميم الغلاف: الفنان التشكيلي أحمد برهو

خلف علي الخلف

التنزيل

شعر

لو ألقى مما في قلبي ذرة على جبال الأرض لذابت
وإنني لو كنت يوم القيامة في النار لأحرقت النار
ولو دخلت الجنة لأنهدم بنيانها

الحلاج

I

وريت البراري

الهفوة تغفو
يسترها الناحلُ مستبشراً خلاصهً من حواف الخواتم لا
الأصابع ترتوي من خصل التورية ولا الشفاه تلتثم
البلور ومثلها الفارس
عيناه معصوبتان ويداه ترنيمة للأسى

التباريحُ تجهشُ
النبوةُ تغتسلُ بعطشِ الإيل
الذباحون طافوا ببياض القبور، تركوا نسوتهم معلقاتٍ
على حبل الدهر كعمر تجففة الخطيئة
الأقواسُ تظهر في سماء الله مثنخة بدم الابن والترانيمُ
تسبحُ في نهره وهو يشرقُ بالأسى.

الناحلُ

على ضفاف الأبد ينزع السلاسل، مرتجلاً مهداً، حافراً
قبره عند وسادته

يقرأ الرؤيا كما وردت على لسان يوحنا
يسرق الكتاب من رُفة العرش، يفضُّ أختامه

المروءة تتزينُ بكحل الهند وخاليل الفصاحة وزوجة ابن
الورد تُدْفئُ فراشها بشبه الناحل

تعرفهُ البراري
عابراً مثل دم يسيل
يرتلُّ الخُطى مزاميراً

يُضرمُ الغفوةً بريقه

يلوثُ الريحَ بأنفاسه
ويروي النشيدَ بماءٍ يسيلُ
من حلْمَةِ الموت

ظل يبكي الرُّحْلَ
وعيناهُ ترنوان للقبور
بلل الهاجس بمقاماتِ الصبا
وعليهم كان يبكي

من عينيه كان الطوفانُ
من أضلعه صنعَ نوح الفُلكَ
غير أنَّه ظلَّ على اليابسة يعصمه النشيدُ
وحين مشى على الماءِ
نقر الطيرُ خُطاه

حملته الأوهانُ عارِجةً على ساقِها، سرّتْ به إلى ليلِ
خجول
عبدته المآذن، أصغتْ إليه الأجراسُ وهو يحفرُ قبرَ امه
على كتف البليخ*
آف القطا، عصَرَ له الماءَ من أرْدُن العاشقات
(منذ الطفولة كانت خطاهُ تصيرُ قُبَرَات وهو يركض
خلف " مَلْهِيَةَ الراعي " *)
في الرمق الأخير من ليله، يشتل الأناشيد، يطوف حول
قبور الألفة يلقنها الوصايا كما رواها شيوخ الشريعة

أبصره يحيى بن زكريا يأكل من شجر الصدوقيين نَهْرَهُ
قال:

الصائمُ يأكل قرنَ الغزال

* البليخ: نهر يمر بقلبي وينحدر للفرات ... بيسَ مثل خطاي
طويلاً... إلا أن الأتراك يستخدمونه الآن مجرى لتصريف فائض
الري في مشروع سد أتاتورك
* مَلْهِيَةَ الراعي: طائر صغير وجميل نسميه أحيانا مُحَنِي ذيله...
يطير على مستوى منخفض ولا يبتعد في طيرانه مما يجعلنا نمضي
النهارات في مطاردته معتقدين أننا سنمسكه بعد قليل ...

رأى الثلج على بياض المرايا فابتَهَلَ
أضواءً محرابه بالشموع التي خطفها من وريثة تيمو ثاوس
شيداً من نُخالة اللغاة وثناً لم يعمدهُ يوحنا ولم يعطه الربُّ
اسماً وظلَّ يجوب البراري باحثاً عن إلهٍ ينسبُ إليه
أبناءه
يعجنُ طحينَ الفِطْرة بدم السنونو ويفرقهُ عن روح الحبيبُ

المرايا ناعتٌ بصورتِه
هو الذي تحسده الملكات على تاجه
الأطفال يصيحونه: ملك الملوك والقطا يدعوه الراعي
قاده تموز إلى ظلّمته وأخرجهُ مجدولاً كصيفِ العذراء

تَرحلُ إليه المدارات الجهاتُ تلتفتُ إليه
يسنُدُ جَرتَهُ إلى حضنِ الثاكلةِ و ينوحُ:

مثلكِ رائحة الأزل تفوح من أردان الخالق...
أجدل ضفائرك بأصابع الشغف وأهجو المدن التي أنجبتني
لم أفتح أزرارها، لم أمد يدي إلى أشجارها
غير أنها أخرجتني من ملكوتِ الفاطر، الذي نُسبِحُ باسمه
الديدان وعاشقة تنامُ على حبلٍ من مسدّ

على شواطئ حفرها بائعو الخيل وقراصنة الدمع
وعاهراتٌ يضاجعنَ رملاً لم يندمل
تهجره العاشقاتُ وتقرُّ منه النبوءةُ، يحبس دمعهُ في
زنازين عينيهِ ويُخلدُ الصوتَ

ضحكتها ترنُّ كأجراس الوالهٍ غير أنَّه لا ينام
يشرب الليلَ من أصابعها، يخطُّ صباه على راحة اليد
مهياً طريقَ اللذةِ ويُشرقُ في برِّ الشام
منيراً مراعي الحورياتِ وشاهداً على صبر الضحية
وهي تذبُّ بالسيف العاري

مَنْ يضر الأناشيدَ ؟
يربطني إلى برِّ الشام حيث نسيتُ نبيذي

تُشرق الصبّاحاتُ وأنتَ تذوي مثلَ صدى هجا صوتهُ
ومحزوناً تبكي كمن أضاع اسوارة العرس، أو كريح
أضاعتُ نسلها بين الجبال
سفح البابليون دمك في كؤوس الغواني، اضطهدك نسلُ
داوود، وما زالت الخيلُ تُسهلُ عند تخومك وقد أردتُ
فرسانها في حروب الردة
تتادمُ السُّلالات التي تعبرُ صحراءك وتنسى أنك أضعت
عباءتك عند تخوم الربع الخالي...
تحفرُ كل يوم قبراً أثينا كي تُعدَّ أصابعها
منشداً للجناز عند سفح الأكرابول كسراب أضاع أقرانه:

منَ يُريني نَعشي قادماً على إبل الروح في شروق اليمامة
لأغمس قلبي بعسل السدّر تدمعهُ الملكاتُ في سهول تهامة
وأفرقه للعابرين صوباً أثينا....

تضفرك الأوثة بأطراف جدائلها، تحبس ابتهاالاتك بجوار
النهدين: ما كانت الأثنى بدءاً
بل حطبا في تنور العاشق
وما أردت الشجى لأعري نارها ببيادري
لكنها الروح تُسوى على جمر البصيرة أغرف الوجد من
صرخاتها وأفضح المكنون في رطب نفسي:
لم يغسل أحد قلبي بالثلج
و ما سرحت بأغنام أبي
واحترقت بموقد البيت مراراً
غير أن النشيد باغتني في صباي
على ظلي هبط الوحي وسالت علي النبوة
فزملتني العاشقات

(... وصنع معجزاتٍ أكلها النمل :
غافلَ البائعَ وسرقَ إسوارهَ لحبيبةٍ لم تجئ
لحِقَ بابيه في الظلمة التي بيت الجمال
عبرَ البلّيح من المَخاضة ولم يرتجف من الماء
أمسكَ الأفعى من ذيلها وأخافَ أقرانهُ
ونساءُ أبيه بالعباءاتِ السود والمناديل البيض حملنه مسير
سنين، كتعويدة في صناديق عرسهن، وما زال حياً....)

على العتبة كسر كأس النبوة :
ما حاجتي للرسالة وأنا إله الذنوب

ها أنا أولج الليل في صُبْحها * وأولج صُبْحها في
سوادِي * أغمسُ الأموات في ضوئها * فيقومون

عُشاقاً تملين

نُشَعَفُ بِصِغَارِ القَطَا وَعَلَى ظِلِّكَ الكونُ يبكي

ياورِيثَ البراري

ها أنتَ واحدٌ واحدٌ هَجَرَكَ الطيرُ والخُلانُ ناموا
فأينَ تواري الألوهُةَ

ياحَفِيدَ الغزال

أثينا / كانون الثاني 2002

صبواتُ السيف

هذا عُرِي المُرْع بالفُرْبى يئنُ ونُيداً، يحفر أسئلة في ظل
الموتى يباري حَمَمَةَ الخيل، مثل الشبق بسيرته الأولى
حين يفرُّ من صلب العاشق صباحاً مذعوراً
يرجمُ ظلاً منذ الطوفان يطاردهُ وبلا ماتم يجتازُ النداباتِ
يَحوزُ بُرْهانَ الموتِ يوقظُ شهوتهُ تصرخُ في الجسدِ
الخاوي تلبسه العنمة وتطارحه
نواحِ الموعودِ

هذا الطالعُ من رجمِ الدهرِ،
المشتولُ كبرهةٍ شبقٍ حولَ الحلمةِ
اللائقُ بالرشفِ بياضاً، أو سعةً من جمرِ الهجرِ بين
سديمِ الفخذينِ
المتوسدُ وقتاً مفضوحاً، أو أعمى عراهُ الملحُ كفراقِ
ينتصبُ وتداً في
قلبِ الناحلِ

ما كلُّ الطير تفرُّ كالشهوة من صدر مشطور بالفأس
ما كلُّ الماء يسيلُ وقتاً مهجوراً
لكن الخطوة آياتُ الرِّحل
معراجُ فراقٍ ينمو في شاهدةِ القبر
تعضُّ فاتحة الوهم تغدو ندباً مثل سطوع البهتان

وهو المرحومُ بلغةِ السيفِ الواضح
يحطب شمساً من ليلِ قسمةِ الأعمى
تاريخاً يتدفأ بالسيف، بالومض الجائر، بالوهم
المنقشع عن ماء سواه
يدمد: هذي قسمةِ ربِّي
ويذرفُ أنثى جائعة لا يُطعمها السيفُ صليلَ الصبوات

هذا الوجدُ نشيدٌ، قبرٌ فضّ بكارتهُ الناحلُ بالوسطى
يهمي فوق طيورِ تعدو/ ترفّ لا تصل الأفقَ كدمِ جائع
وهذا الكون يضيئُ بأنثى تكسر رغبتهَا كالظل، وتمرّعُ
صرخة حلمتها

بترابِ الذاهل

توجعُ الحلمةُ فينوءُ بكتابِ الجوع وفؤوسِ الحطابين
تنفضُ الواقعة، تعيد الأنثى بكاره مشيتها المرة، تسرف
في لينِ الجسد

المثلوم

تتهجى السُّهدَ وتطفّرُ كالصرخة في شعبِ ذاقِ الكأس

يا مفتونَ الوجدِ تساقطُ
أوقدْ هذا الشبقَ المشتعل، هذا الفيضَ العشوائي لروحي
الثرثرة لا تفتعل الغفوَ على جيدي كالطيفِ الأخرس
أمددْ صوتكَ وأقبضْ نهدي النافرَ بالعبرَات
فأنا أنثى
لا يرضعني القادمُ
لا يحطبني الغافلُ
أنطرُ سيفاً يقطرُ شبقاً لمرأى الرأسِ مفصولاً عن جسدِ
الصبحِ أدخله ظلامي، بئري الموعود، فأبوح فراغاً
يبصرُ

لا تنتظر فيّ
لا سرّاً لدي
ما طرقَ بابي أعمى فأبصرَ إلا الناحلُ، والبصرُ سرابُ
الأعمى
من ماتوا على بابي لن يرحمهم ربي، ما كانوا شهداء
صهيلي برق اللذة أعماهم ضاقوا بهباء الصحر مدوا
أيديهم إلى ورد الرغبة في التهد النافر

ذابوا

أنا الوهمُ
ظلي الله
شجرُ السدرِ نشيدي وأسيلي كشروق البازغ من ليل
صلاه الصبحُ

صوت شخيب الدم يفتنني
أفجرُ وهجي، غواية لبني، أردافي المنحوتة كالأيات،
سرّة عرشي

أسيلُ عواءٍ يقضمُ رَغَبَتَهُ
يخضُ دمَ الرّحل
تسري الروحُ بأغوار السر الكائن في البرهة، العائثِ
بالشجرِ والمبئلِ حنيناً
لا أحدَ سواي يطوحُ بالوهج، ينقضُ على العاشقِ
كالباشقِ نزوئُهُ
في الظل

من يحنو عليّ تجثو في الصحو خيول الدفاء عند قدميه
وفي الليل أحنو عليه كأنثى وارفة، بشهوة فارس
خانتُهُ امرأةٌ سافرةُ القل

من أحنو عليه
يرعى في جسدي صراخاً
عُرّي صباحي الفارع

يسبّحني وينسى الله

أثينا 28/2/2002

ندب على قبور الجهات

إلى عبد اللطيف خطاب

كان يردد نوحوا عليّ فجئتني هيابة وموتى أكيد

أنا أولُ الأسلاف
الموغلُ في سِفرِ الضنَى / شبيه الأبديةِ / نسلُها / صوتُ
أجراسها / حبيسُ الزمنِ / موقدُ الشموعِ والمستضيءُ
بدمها
أرتقي الزمنَ على نحيبٍ يتمزقُ

أنتَ صوتُ
الصوتِ صليلُ الحشراتِ / مرآتها / عرشُها / ماتمُ
الغائبين
والرعيةُ صمتُ
صمتُ يتحسسُ شمساً غريقةً
صمتُ تصنيه الأنفاسُ
صمتُ ينهبُ الحقولَ والظلامَ المهجورَ

ما كانتِ الرعيةُ صوتاً
وما قاد الرعاءُ أنفاسها وهي تننُّ
تتلو البكاءَ على حافةِ الأسوار
تقرأ سيرةَ الأعراس في بلادٍ
دَفنتُ راياتها

البكاءُ سيرةُ الأئمة
صخرةٌ تتدحرجُ من أعالي الأبد

إذن لُعدِ البكاءَ من أول الزمن / لُعدِ الضراعةَ النهمة
أيامنا المبقورة الأحشاء / الدمَ على أفضاذ الأبيكار
الرهبنة الضامنة للعيون المطفأة كقناديل جفَّ زيتها
لُعدِ النهارَ الذي بهُتت رايته / الليلَ الحافل بالإشارات /
الأصوات التي شردت عن قوافل العابرين
لنستغيث ...

حالمون بصوتٍ يحيكُ البكاءَ
بالأخير من نسلنا وفي يده العبور
لاهثون مثل ظلٍ تعبَ من الخطى وهو يترصدُ الليل
من سيطفئ الوهج تحت أقدامنا
يخطف السيفَ من يدِ النميمة وهي تحزُّ حياتنا
يفرش البُسط للضراعة كي تستريح من نواجها

من سيحاور الصليل

رجاؤنا حبرٌ
والصلاةُ بياضٌ لا لثامَ له

أَيُّهَا الْبَدءُ
يَاصِرَاخاً يَنَامُ فِي كَوَّةِ الْمَصِيرِ
هَبْ لَنَا شَجَرًا نَحْتَسِي ظِلَّهُ
عَتَمَةٌ تَلُوذُ بِهَا الصَّبَايَا النَّافِرَاتُ الْأُنُوثةِ
هَبْ لَنَا مِنْ بَابِ هَائِجِ كَالْقِيَامَةِ
شَاهِدًا أَوْ دَلِيلًا

جسدٌ يغسلُ الضوءَ و تتمرى به السماواتُ
يوقظني على صوته
اللذة إذ تحفها الموسيقى وتشيعها
وما مثواه سوى الماء

أناغي حلماته بتمتماتِ الشفاه، أصغي له، كما تُصغي
الأجراسُ لصوتها، أحنفي برائحته وهي تبخرُ الكون، اقرأ
لذته بأصابعي ...
الرغباتُ تتشكلُ موكباً للأعراسِ الشهواتُ تفيضُ نهراً
أبيضاً

والذكورُ ما عادتُ صمناً

الإغواءُ صوتُ ماءٍ ينسكبُ من الأعلي
أصابعُ تقشرُ البهَاءَ تلامسُهُ تستلذُّ التفاصيلَ
تعدُّ الندوبَ وتغتصبُ الجرحَ
وما كانتِ البصيرةُ جرحاً وما كانتِ اللغَةُ صوتاً
غيرَ أنَّه جسدٌ يخبزُ الصمتَ على ناره ويأكله
فاشربِ الماءَ لتعرفَ طعمَ الحليبِ

أنا الحالمُ بالمدنِ العاليةِ الليلِ
حيثُ السيوفُ قصيدةُ العاشقينِ
حيثُ الجدرانُ تحبسُ أنفاسها، والدمعُ يجري أمام البيوتِ
والرُعافُ يسيلُ كلما فاجأ الصوتُ حامله

هذا صيامي مقيد بالندور
الصدأ يتحللُ عن حدِّ البصرِ
وعيناى بُرْقانِ بنبوةِ النائمينِ

لم أنسَ الظلامَ غيرَ أنَّ أصابعي أبصرتِ الطريقَ
أنا التالي....

أحفر الميراثَ حتى آخره لأرى جفافه
سأتبعُ صوتي متلفعاً بوصايا تُنسج من جسد الرغبة
الرغبة سُلّمي الفرائسُ دليلي إلى أولي وصعودي
صحوً لجبالِ سفوحها الدهشة
الأعالي وليمتي / اللهاث لا يفارقني وعثراتي تجثم فيَّ
ما أكثرَ النجوم عند تخوم الحكمة تزين الموتى تكجلُ
الفجرَ بالرتابة وبأصابعِ أئمةٍ يسرق الباطلُ الوميضَ من
خُرج السماوات

وما كان سحراً
وما كنتُ مسحوراً
غير أنني أصغيتُ للدليل

أيها القادمُ كئغاءِ أغانامِ بعيدة
كنايات تحلم بالخروج من قبرها
ماذا قرأت بأصابعك غير غريزة التناسل
من الذي أوحى إليك: الأيام تنتظرُ خطاك
تمشي بأصابعك والمدينة ليست جسداً / الأيام هنا تحسو
زمنها على مهلٍ ولست رسولا لمملكةٍ يحرسها الطينُ
لست مطراً لتذيبَ سيوفنا، والخديعة ليست صدأ لتزيله
عن سكاكين الأصوات

لا شيء يغريني أن أهدم الأسوار لتدخل فاتحاً
الحقيقة صوتي
يرتلُّه بشرٌ عراه من كل نصرٍ
وما كانت الهزيمة ثوبي

أَيُّهَا الْمَوْتُ يَا زَمَنًا يَضْمُرُهُ الْآنُ
تَتَبْتُ فِي حَاشِيَةِ الْغُرَابَةِ يَدًا تَتَبَادَلُنَا عِنْدَ بَابِ الْمَصَادِفَةِ
تَدُقُّ كُلَّ رِيحٍ عَابِرَةٍ، تَخِيطُنَا إِلَى الْعَدَمِ لِتَسْجِ الْقُبُورِ
تَتَوَارِدُكَ الْخَوَاطِرُ أَرْوَاحًا، تَقْطِفُهَا عَارِيَةً كَالسَّحَابِ
يَا طَعْمًا نَتَذَوِّقُهُ كَالعِبْرَاتِ
وَيَمْضِي بِنَا قَبْلَ وَصُولِ الْحَوَاسِ

يَا حَارِسَ الْوَدَاعِ بَعْطِشِهِ الطَّوِيلِ
النُّومُ وَجْهَكَ الَّذِي نَرَاهُ تَطِيرُ بِنَا إِلَى مَا يَبْدُو أَنَّهُ اللَّيْلُ
وَأَنْتَ تَحْزَنُ بَسْكَينَ الْمَصِيرِ كَمَا هَمَمْنَا أَنْ نَرْكُضَ
نَنَامُ
نَنَامُ
تَتَنَاطَرُ حَيَاتُنَا كَغُبَارِ
العَرَاءِ مَصِيرُهُ
الظُّلْمَةُ أَبَدُهُ الَّذِي لَمْ نُبْصِرْهُ

حبيبي
في الريح ضاع صوته العتمة أكلت وميضة
الترانيم نسجت أنفاسه وهي تخدم كمنار غريبة
الموت سيج في نهري

عليك
لتبكي البلاد
لتندب الندابات ويفضحن أسرارنا
لتشق النسوة بياض وجوههن بالهلاهيل
لغيابك
فلتختبي الخضره في السهول
تصمت الأشجار
ويخف النهار ألوانه.

لغياي
لتقصّ العذارى جدائلهن تنثرها للشمس
لتجفّ ضرورع النار
وتدخل النسائم في غفوةٍ لاتحسر

لنتعرّ الغبطة حتى تفقد بهجتها
ليرسم الرجال على جدران بيوتهم شمساً من الحيرة
يمحوها سؤالٌ يصحو على صوت الندابات:

آه آه آه نثمُّ رائحةً تنفتت في الدم نُضيءُ الدروبَ
بالموتى / نبتهل أن تخرج رائحتهم من أنفاسنا
نُضمدُ جراح البيادر بهباري* ساحت رسومها من الشمس
نردُّ التمامَ النائمة بجرار الفخار نسرح بالنعيب في
سهول أتعبتها الأشلاء
نترك النهود على عواهنها ...
.... نلطمُ

.... نلطمُ
نخمشُ الخدودَ بأظفار نسيها الحراس بأصابعنا
نشقُّ السواد عن قاماتٍ تأسرُ الموتَ مصابة
برصاصٍ يكرره الارتجافُ

* الهباري: نوع من أغطية الرأس تضعه النسوة في منطقة
الفرات

المكابداتُ تتهاوى أمامنا / المرآئي تسيلُ كدمِ الذبيحة
نحتفي بالمرآئي مخنبتاتٍ بفيءِ قامتنا
قبلَ قدومِ القبائلُ

أيها العطشُ يا نسلَ الموتِ ويا ضوءَ البعيدِ
تراوَدنا عن سرابِ شهواتنا، وبالندبِ نستُرُ العوراتِ
ونحنُ عراةٌ تضللنا الدروبُ بالفجعة

أَيَّتْهَا الْفَجِيعَةُ — تحلُ ضيفاً
دعينا نُحصي أسرارنا لنفرقها للقبور
لم نألفِ الموتَ لنقدمَ له الروحَ ماءً نستقبلُ به الغرباء
ما لكِ تأخذينَ البشرَ إلى سرابٍ معتمٍ
وما كانوا عشياً لتحصديهم
مطعمة قطعانكِ الداشرة

أَيَّتْهَا الْفَجِيعَةُ
ما عادتِ السماءَ ملائنا لنزرعَ إليها
ما عادتِ السماءَ سوى مسرحٍ للفولاذِ تتلقفُ الأصوات
تستدلُّ بها على بشرٍ يتوسدونَ أبصارهم / تدفنهم بأشواقهم
لم يغمضوا أعينهم وما سترهم الليلُ كي يفرّوا

الجماجمُ تطل من حُفَرِ الموتِ كي ترثي الأحياء
المتنبي والجمع / الذكر والأنثى
الفواصلُ ونقاطُ الدمِ على سَعفِ الحروفِ
النسور طلت ريشها بالنعاس الغزال نام على الماء
الساحراتُ نسَجْنَ بسطاً للأيتام

الأغاني نبتت على الضفافِ حزناً تحرسهُ الأراملُ
والأرضُ سياتُ الأقدامِ الهاربة

والسماءُ عيون

الطيرُ ينقرُ القمحَ من عيونِ الجُنثِ
الزغاريذُ تشربُ من بئرٍ مسمومٍ وتجفُّ
العروسُ تتحنى بالدم، تكتحلُّ برمادِ العريسِ
وتحيلُ من الهواءِ

المآثمُ ضيعتِ الموتى / المراثي تقرأ المسماريات
اللسانُ يتذوق الدم
الكلابُ تتبول حكاية تترجف
الدمُ حرفٌ أولُ
الدمُ حرفٌ ثانُ
الدمُ حرفٌ يستبطنه النص ويذريه
الأشلاءُ حروف المد...
والسيفُ كتابٌ تقرأه النسوةُ

الندابة ترثي نفسها
الرجال يطمونَ الريح
يشقونَ العطشَ بخناجرهم
فيرتعدُّ الله حينَ تفاجئهُ الطعنات

هاهي الحربُ
تجرّدُ الملاً من ثوبِ طرزهُ الثغاءُ تتركُ ظلَ الرحمن
عارياً في البرِّ المتقلّ بخطايا التوّابين
تعيد المكانَ إلى رغيْفِ غمّسه الربُّ باللبن المسفوح على
عورة الأشلاء
والصراخُ
صوتُ فجر جريح

الحربُ ضباغُ تتناسلُ العويلَ كي تُطربَ الدمَ تُرقِصَ
الأشلاءَ تدقُّ الأوتادَ، لتربطَ السماءَ
وترمي الغبارَ في خوابي العيون

جماجمُ يثمرُها النخلُ لتواخي التمرَ
نملٌ يحفر جمجمة الصوتِ
بشرٌ يرتجفون من بردِ العورة

كونُ يأكلُ الندمُ أحشاءه

والخالق يابس في الـ...

رमितُ الحسرةُ فوق قبور الخُلان / تركتُ خطاي...
صرختُ دماً / ظلاً يتبعني آناء الليل وأطراف الصمت
علقتني الجبالُ من أهدابي إلى غيم أبيضٍ
لأرى دمعاً يهبط على الأرض وحيأ سرقت نبوته

كنت أحوم فوق تركة اليقين
أبصرتُ السماوات تترجلُ تربطُ خيلها إلى عكر يشتهه
المعنى
فتشتُ ملابس القتلى
عن مراثي تركوها لتقرأها النسوة بحلماتٍ تقطر فضة
عن ذكرياتٍ تهيل على رأسها تراباً أسود
عن سرابٍ يعكسُ أمسهم كمرآةٍ لم تحفظ صورتهم

فليت فراقهمُ
علمتُ مقابرهم بخطا كالتدور على إنقيّةٍ واحدة
راهنْتُ على الطير أن يعرفَ مراقدهم
على ريحتهم أن تقودني...
ليلهم اشتريته بقنطار دمٍ وبعثُ نهاري لأطعمَ كلباً تركوه
يحرصُ هيلَ غيابهم
ملتُ / رجفتُ / سهوتُ / تمايلتُ
كمن تأخذه الغفوة وتعلقه على شجر الحال
ويستغرق بصلاةٍ تقطرُ دماً

يا بدأ عمياء لا تقطفيني..
قولي: ما الموت ؟ لأصعدَ إليه / أتوسده / أناغيه كأطفال
يحبون إلى غدٍ لا نراه
أمشط شعره لتعشقه النسوة / أضعه على سرير الأبد
أضاجعه كي يلدَ الخلودَ

أَيَّهَا السَّلَامُ الَّتِي مَرَّتْهَا أَقْدَامُ الْأَمْوَاتِ
كَيْفَ أَهْجُو السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ قَبْرِهَا / كَيْفَ أَلُوذُ بِالصَّحْرَاءِ
لَأَنْجُو مِنَ الْبَحْرِ وَأَنَا عَذَابٌ يَتَهَجَّاهُ الْجِنُّ
أَنَا السَّيْفُ لِحُرُوبٍ تَلْتَعُ بِالرَّاءِ
حَرْفٌ يُتَاكَلُ أَوْلَهُ يَجَامِعُ بِنَاتِ أَوَى لِيَلِدْنَ الْخَدِيعَةَ
وَأَنْتُمْ قُرْآنٌ يُنْقِرَانِي كِي أَوْمِنُ بِالْحِكْمَةِ
تَقْطُرُ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ

القفرُ بيئنا
الخطيئةُ تسكن الشفاه
وهذا الصوتُ آخر الليل
يشجُّ العواءَ العاقرُ بفأسه:

يا حارسَ الأنهارِ المثلثة بنا
أيُّ زمنٍ تنتشوقُ خذناااا
نجفُّ القتلَى من وصاياهم
نعذبُ الأرضَ بأشلائهم
نرسِّخُ آثارهم في سيرة الانطفاء
ونذيلُ أوراقهم بختمِ نغمسه بالرماد

ميراثنا آخر الصرخات العارية / أبناؤنا دمغ بلا وجه
غير أنا سنستأنف الزمن
سنصنعُ مجداً للمقطوعين عن نسلهم / نطلي بيوتنا بالطين
نحمل الحجارة المسكونة بالجنيات لنبني مأوىً لهذه
الصحراء

ونشيّد ما يأتي من الأيام

رُحَى
رُحَى عَاهِرَةٌ تَطْحَنُ أَثَارَ مَنْ مَرَّوْا لِنَآكُلِ خَبْزِهِمْ
المَرَاثِي تَجْفُ مِثْلَ نَوَاحٍ أَنْكَرَهُ دَمْعُهُ
نَكْحَلِ الْأَبْيَضِ بِالْمَنَاجِلِ وَنَحْصِدِ الْيَيْسَ بِأَبْصَارِنَا
الرَّيْحِ صَرَّتْنَا
الرَّيْحِ النَّاصِجَةِ دَامِغَةَ الْحُضُورِ تَجْتَازُ بِنَا نِيرَانَ
المَسَاءَاتِ
وَنَشْعَلُهَا عِنْدَ شَوَاهِدِ الْقُبُورِ

النجوم لم تلد أمهاتنا/ لم ترهن ولادتنا لنوافذ الصبر
غير أن الصمتَ يمطرُ قلقاً تشيعه البوادي إلى يومه
سُنْبُقي من النشيدِ أسماه/ من الحلماتِ هذا التلألؤُ/ من
الليل تمتمات دفتتُ رأسها بلا صوتٍ في عراءٍ غادرته
الأمهات
نُبقي للذكرى حجراً ندونُ فيه الأسماء
نزرعُ ما بقي من الظل وردةً للبدء

لسنا أول الشهقات
ولا آخر الفجر
نحن أوراقُ الصمتِ طنينهُ نحرر أجسادنا من لعنةٍ
طاردتنا نسرق حوافَ النهاية نطرزها برسم الجرح
مرتين

لا أحدَ يلمُّ شهقةَ الأغصان من شجر الآخرين
لا أحدَ يُعري الزبدَ من مائه النائم

انظروا صوبنا
صوب نهودنا العارية

عراة كأنَّ الكونَ عقدٌ لامرأةٍ مالها جيدُ
بقاءً غامضٌ صلاةٌ غريقةٌ مكانٌ لا يفنى
الموتى يُمسكون ما بقي من مائنا يقودون ما ضاع من
وجوه
إلى أملٍ يتحرى موته إلى رغباتٍ مستديرة كأيلول
إلى سلامٍ يتشكل خارج القوم نجوماً
غير خاشيةٍ سيوفَ البلاغة

ها جُرْحنا
نجرؤ به
نُمجدهُ
نتذوقهُ
نصنعُ الملحَ من دمه
نمجدُ الرحابةَ المضيئةَ
نحنُ القساءُ القساءة
نحمي وسادةَ النيام من حلم الليل
أصابعنا مكسورةٌ ونلامس الحُبَّ بأفواهنا

حلب - الرياض 2003/2004

سَدُّو الغِيَاب

ها نحنُ
يأسُ يشربُ المفردة وبيتاغُ الخواتم
الأراضي تتأى والشموسُ تنوسُ كإبرة ضوءٍ
ضئنا أشباهنا واتكأنا على الخراب
الجنون يشرب معنا ماءَ الفراق والباهيات
يعتصمنا بأجراسنا

خُطى معتمة
خُطى تركلُ الأبدية
خُطى تنهشُ المُبصرين

نصيحُ:
أَيَّهَا الخُرَافَةُ يَا أَمْنَا من يسفح الأيامَ كمياهِ الجَنَابَةِ
على عتباتِ العمرِ من يرمي سهامه صوبَ عيوننا
لنبصرَ الماشيةَ ترعى عُشْبَ أَيْماننا وتدلُقُ أحشاءَها في
الصحونِ

المراثي كتبناها لأحبةٍ غادروا
الذكرياتُ حفرناها بمساميرَ صديئةٍ

وكنا هناك
نرمي الضحى بصراخِ عطشٍ لاهثٍ في البراري
وفي الظهيرة نعض على الفيِّ بأسناننا كي لا يغادر
ونعود متلكئين بخطى تهربُ من قبرها في المساء

كنا هناك
دوتنا الطفولة على تُرابٍ يضمُرُ
لعبنا بعوراتنا على الملء...
ولم يكن يسورنا غير ضوءٍ ينعي الله بمفرده
وتركنا الخرابة تواجه حَقَّها في الظهيرة

ورثنا الخطى الطويلة / المدى الذي يسرح بنا حافياً
شمساً تغرق في احمرارها عند تخوم الدنيا / غدراً يبتهجُ
بدم الخلان / أصابعَ تفرك حلماتِ الخطيئة
ركبنا خيلَ أيامنا وسابقنا شهوة البصر/ وردنا ماءً ينبع
من النون حيث الخطيئة بلا قبور والشهوة على مرمى
من الفرادة

كنا نغني للقدور
" فوراً يا قدرِي فوراً قبلَ كلِّ القدور... "*
وما كنا غير فقاعات تحصدُها الريح وترمي بها للهباء
ما كنا غير ضوءٍ ضلَّ المكان / عتمة نُسيت في القبور

* مقطع من إهزوجة يردها الأطفال في طقس احتفالي أثناء سلق
القمح ليصار إلى تجفيفه وجرشه ليتحول إلى برغل

اليابسة ترملت كأمهاتنا
العيون هرمت من الدمع
والعمر يبس وهو ينظر الحلان

وها نحن شجر يتعري / ماءً يخيط عبرته إلى العيون
ليل يقشره الضوء / صباح حاسر الرأس كالفشعريرة
عراة / أمطار / طيور تنقر الحب / أواني فارغة من
العمر على الرفوف / أجراس مرايبع تفقد الرعاة إلى
حتفهم / كلاب تنبح على زول يركل ظنوننا تؤانسه الليل /
ماء شحيح يشربه الحظ

نشم أشباهنا لنضلل المنفى ونبصر السواد كأمهاتنا
نخبئ ما تبقى من الروح - عن طلاب الثارات - في
صرر ورتناها من الأمهات ونمشي إلى حتف أبيض..
أبيض مثل ظهيرة تموز في قرانا

نسند الوهم على عصا الحسرة
ونفرق الحنين لأطفال يغمسون خبزهم بشاي الآتي ...
المخاضة تودي بنا للصفة الأخرى وتغتال الدروب من
تحت أقدامنا

المأتم تغزلُ النشيح
المأتم تنسجُ أعمارنا بسدو الغياب
المأتم تلبسنا ثوباً من الخيش لنتحسسَ الفجائعَ في الصحو
والسهو وابتلال الخُطى بالفراق / المأتم تأكلُ ما تبقى من
لقمة الصراخ
ننشد كطفولة أكلت قمرها الحوت
"ياحوت خلي قمرنا يفوت
اسمعي دق النحاس
اسمعي صوت الرصاص...!"*
والمأتم تسدُ أذنيها بحليب أمهاتنا أو يزيد شهوتهن وهن
يمارسن العذاب مع السواد

* مقطع من إهزوجة يرددتها الأطفال أثناء الكسوف معتقدين أن القمر أكله الحوت وتحدث الأصوات وإطلاق النار لإخافة الحوت ويترك القمر أما كيف صعد الحوت إلى القمر...!!؟

ها نحن
وذاك صُراخ أجسادهن في بهائها العاري، وهُن يمارسنَ
شهوةً كَبَلَّتْها العشائرُ بعبائرٍ أعزلٍ*

الهواءُ يلفحُ أجسادهن العاريةَ لتمسّه الرعشاتُ
النهارُ يحضنُ الأجسادَ ليتدفأَ بنييرانٍ تشتعل
الترابُ فراشهن
والله يراهنَ فيتلو شهقاته السرية

لم يكن السرابُ حلماً
غير أنا ركضنا وراءه
وهانحن أعماراً يابسةً يحطبُها المنفى

الرياض 22/9/2003

*يسمى هذا الطقس لعبة السكرات: وهي (لعبة) جنسية تمارسها
الخطابات من الإناث غير المتزوجات في منطقة أعلى الفرات حين
يمر بهن عابر غريب ولا أحد آخر حولهن فيجتمعن عليه،
يكتفنه، ويعرنه ويمارسن معه مداعبات جنسية خارجية في طقس
يبدو أنه متوارث من طقوس الخصب الرافدية وآخر مرة مورست
هذه (اللعبة) في خمسينيات القرن الفائت، حين استطاع رجل
الإفلات.. واغتصاب إحدى الفتيات مما اضطرهن إلى قتله لأنه
خرق قوانين اللعبة

II

حجر الليل

بعد قليل
تنام الفواصلُ على سرير اللحظات لتولدَ أبديتي
أنا العارفُ صوتَ الهُنيهة، وكاتبُ تاريخها

وبنهم الجائع التهمُ عرشَ الأيام
الأبدُ ينام في جبتي
وأوصاله تعبر الجلبَة نحو سواي

ماكانتِ التواريخُ تتصدعُ وهي واقفة كاللقالق على ساق
واحدة ماكانتِ الصرخاتُ تحلم بالمعنى الذي يسدلهُ
الكائنُ على مسرحه
وما كانتِ الكلماتُ تُمحي بالوهم المسنون

غير أن الظلامَ يستجيب لأصابع الصوت وهي تستمني
الظل والكتابة تترثُ الأسماءَ أو بلاغة الخرائب

العروشُ تنهارُ رجفةً إثر رجفة
الممالكُ تنقسمُ على نفسها وتسلك المنفى
والكتبُ تحترق في شفاه القارئ المهووس بالنقاط

وحدهُ الشاهقُ

يبصرُ الممالكَ تتحسر
يبصرُ النارَ تحرقُ المسافات وتضيء البعيد
ويبصر اللصوصَ يسرقون حجرَ الليل

يقايضُ الخرابَ الذي على مدى عمره، بحفنةٍ من شعير
الطفولة
يسودُ دهرًا ينمو بصور ضالةٍ مقطعة الأوصال

لا المعنى يصل حتفه
ولا الموسيقى تضرمُ النارَ في موقدِ الكلمات

أثينا 11/2/2002

العاشق

هاهو العاشقُ
تسيلُ أصابعهُ ويزرفُ أناشيدهُ

السماءُ اتكأتُ عليه والسهامُ أخطأته

على صدره سورةُ الطوفان غير عابئٍ بآلهة الماء

الممالكُ تبارتُ لإرضائه
الكهنةُ قدموا له النذور
الشيوخُ لهجتُ ألسنتهم بذكره
والنساءُ قدمنَ من كل الممالكِ كاشفاتِ الوجوه حاسراتِ
الحياءِ ليتعمدنَ بأناشيده

العاشقُ:

المتواري في وجده الناذرُ أجفانه النادمُ على من مرّوا به
الغزاةُ تجنبوا دمه
الأيامُ أوهنته
والوطنُ قرّقه على الأصقاع

يبذر ماجناهُ بأبريلَ على سور المدينة، وفي تموزَ يقطف
أشجانهُ وينسى ...

البحارُ أضاعت مناراتها، أخرجت حورياتها، أحيت كل
النساء الـ غرقنَ ليكتحلَ العاشقُ بأسفاره أو يروي
ظمأه

من يقف ببابه ولا أبواب له ؟
من يذكره ووجهه مسفوح بين آشورَ وأشبيليا ؟
من يناديه وقد نسي اسمه عند أبوابِ غرناطة ؟

من يبكيه

ولا سيفَ له ... ؟

أثينا 10/11/2001

مات هناك

كائنات تزدهم لتؤدي فرائضها/ ضجيج يعلم الجهات كيف
تتطاير/ فزع يشق أكفانه عن طفلة تحترق/ أيادي تلوح
لجنين يتشكل في حفنة من تراب اللغة ...

بأصابع فاغرة دمها أخط روعي إلى نصفها مُعلقاً تميمة
على عنق الغيب كي لاتجفله ظلمتي.
أحسب الأفق شرفة

أطل على أيامي الـ تنغو تتزاحم على مورد الغموض
دروبي تجري أمامي وتترك خلفها صلاةً بُقرت أحشاؤها
استدر يا هواءً يزاحم المنفى: هذا وجهي يتلو العويل
لتحنّ السماوات.

أيامي مفزوعة تفزّ من نومها ...
لم يبق غير التفاصيل:

أفقى عيون الطير كي لا تراني/ أقود البروق إلى جهة
مذنبه/ أرضع الجهات حليباً خبأته لعطش يدور فوق
أشلائي كأجراس تنعي الحكاية

أنا اختلاط الليل بالمرأة...
ضيعت وجهي في خرائط المعنى وتهت
رأيتُ الجحيم يحمل وردة عند بابي
أفسحت للنصل الأخير طريقاً كي يرى قلبي

أهدر المشهد المطمئن أفتح النوافذ على مدى أحمرت
عيناه من البكاء أشدُّ التعاويذ من شعرها:
خذي رملي ابني به نزهتك الأخيرة..
انتظاري مستتقع الغبن وخطواتي فصل أخير من انتصار
الغزاة
أدع الطين بأناملي لأشكل أثارك طفلاً من الوهم يرضع
نافذتي أدنو من قوافل الأسرار أسألها عن
موتى سميتهم حلمي
أنبش قبر الضوء ..

هل مات توأمي...؟

الرياض

شمس الناحل

البياضُ الذي نرّمهُ بالضوءِ تأكلهُ اللعناتُ
الشمسُ التي أكلتُ أبناءَها ورثها الناحلُ

على حافةِ الأفقِ تقفُ
الأهدابُ مبللةٌ بخرابٍ لا يندم
تتهجى صوتاً بعيداً
يعدُّ الطعناتِ
خطايانا تتوهجُ كمنارِ بُدَاةٍ في ليلٍ أعرج

وحدهم أطفالنا ينطرونَ خبزَ وجوهنا
بمرأةٍ أغرقها النحيبُ

غير أنا لانصل

تحملُ شمسكَ الغاربةَ بكفنٍ أبيضٍ و تنسى دفنها
أيامكَ السود - كنعاج - تسرخُ بها أرملةٌ لا تعرف طريق
النهر

نسيتُ صوتكَ

أمكَ تركتُ وجهكَ كـرغيفٍ على صاجِ التتهيدات
بيتكَ القديمِ تداعتُ أركانهُ والذكريات..
والحطبِ الذي تلمه العاشقةُ
ماعادَ يكفي
كي توقدَ كلَّ هذي الرياح

ليسَ بصرُكَ هو مايسيلُ
ليسَ بصرُكَ..

إنه البياضُ الذي أكلتهُ اللعنات

الرياض 14/5/2003

المروءة والمكحلة

الصوتُ الذي جاءَ من بعيد
كصدى لأجراس الهاء
واحتل مكحلتِي الصغيرة

اللحنُ الذي بللتُ به المرودَ
كي أكحلَ النون

ارتجفا أمام مرآتي
تلمسا عينيَّ كأعمى مضللٍ بالملح
داريتُ بأصابعي النحيلَةَ ارتجافَ الكحل
تمايلتُ أمام المرأةَ كمن تنوهمُ الرقصَ
حافيةً كعروس الأصابع..
السرُّ انكسر كدمع زُجاجي
الأجراسُ خفتتُ
كنهايةِ عزاءٍ سومري
وحدهُ اللحنُ ظلَّ يرتجفُ
على المرودَ

II

الأعراسُ تجيئكِ والوصايا
محملةٌ بكحلٍ يقبلُ العيون
شجركِ المثخنُ بنداءِ الإغواء
تستظلُّ به طيورُ الرغبة
لا الكحلَ يرتجفُ أمامَ العين
ولا المروءَ نسي
أصابعكِ
وحدها الأعراس
تمرُّ
دونَ أن ندري

حلب 10/6/2000

الجسد .. سؤال اليباسة

الجسدُ المبْتَلُ
يضمُرُ الوقتَ ويسرقُ الشهقةَ من العيونِ

الجسدُ الذي يتأملُ الكحلَ في عينِ المرأةِ
يفيضُ نشيداً
يرمي الإغواءَ على حافةِ الحروفِ

ينحني الضوءُ كشيقِ مرئي
يعانقُ جسداً مبلولاً بالبهجةِ
يقبَلُ شفاهاً تقطرُ ماءً
كحرفِ نسيتهُ اللغاةِ الضامرةِ

يلامسُ الحلمةَ ويداعبُها
كبكاءِ مكتومِ

الحلْمَةُ مفتاحُ الريحِ
الضوءُ شبقُ الغائبِ
مرأهُ لهاتِ المحمومِ

ينحدرُ الضوءُ إلى سهلِ البطنِ
كعذوبةِ مبصرِ في ليلِ شجره السهدِ
يتعرقُ ألقاً
يرتجفُ من ثلجِ الغيبوبةِ في دفءِ الإشراقِ
يرتشفُ الخمرَ الشجورَ تفاصيلَ عطاشي مرّوا
من بئرِ السُرّةِ

يتوارى الضوء خلف أصابعه، يجوسُ جبالاً
ترتعثُ من فرطِ سهيلٍ يسمعه الكونُ ويسترُ رغبته
حَجلاً من إعلان حياة تنمو..

تضجُ الوردَةُ
صراخاً يتجلى
إلهاً

يجمعُ أشناتٍ وصاياها
الكتبَ
الرسَلَ
إشراقاتِ الفيضِ
لعشاقِ صوفيين

يثغو يطلُبُ ماءً

ينعتقُ الجسدُ
من عطشِ الكونِ
ويبتلُّ

لهاتِ الوردَةِ

الرياض 10/5/2003

III

مآتم الذاكرة

ندم

الشمسُ التي نقشرُ بهجتها
الماءُ الذي يسيرُ حافياً
الصبيّةُ الذين يراقصونَ أخيلتهم
لم ينسوا

كانتِ الأرضُ تتزينُ بأقراطِ النميمةِ
لكنها لم تنسَ

الشجرُ العاري كمتهمٍ وحيدٍ
الصلواتُ التي بكتُ باكراً
الندمُ الذي خلَعَ أرديتهُ
ونام على وسادةِ الضميرِ
لم ينسوا

كنتُ أباريهم إلى آخرِ الملح
أو إلى صدىٍ يتوجسُّ الريبةُ بأقرانهِ
غيرَ أني لم أنسَ

لن ننسى في العتمةِ التي تخبزُ الوجوهَ
أن نقولَ : أيتها الأم
سلاماً

الرياض 14/3/2002

الجنة

الشجرُ الذي يبكي على حافةِ النهر
الصراخُ الذي يسدُّ أذنيه بوجهِ التوسلات
الأفقُ الملونُ بسوادِ قلمتِ أظفاره
الجنةُ التي تشيعها امرأةٌ خرساء
ووحيدة
إِنَّهَا جُنَّتِي

لا تبكوا

الرياض 2003

مهاجرون

العشبُ ينمو على أياديهم
أبصارُهم ترتجفُ من بردِ الأفق

وعلى أهدابهم تقفُ طيورُ

القراق

أثينا 2001

مرايا

اليابسة التي قبل البحر
مفارقُ الكلمات
المسرحُ المُعتم
كانوا يحتفلون بموتك

كان البحرُ شاخصاً إليهم
لم أنادِهم
لم ينكسرُ ظلي

صاحتِ اليابسة:
لموتهِ مذاقِ الأحياءِ
دمدمتِ الكلماتُ:
لموتهِ جرسِ خافتِ كأنه الصهيل
المسرحُ المعتمُ
أنشدَ قصيدةً مائلةً للضوءِ
ثم حفرَ قبراً للقصيدِة
البحرُ كان الشاهدَ

الوحيد

حلب 2003

صدر للشاعر:
نون الرعاة - شعر - 2004

الموقع الفرعي في الحوار المتمدن :
www.rezgar.com/m.asp?i=502

موقع شخصي :
www.postpoems.com/members/alrafedy

ايميل:
Khalaf88@hotmail.com

